Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فإن التلحين لا يستقيم إلا بأن يقول "لالا" بين الجزئين الجيميين من هذا القفل "ومن ثم فإن ابن سناء الملك يرى أن عروض الموشحات يعتمد أساساً على التلحين الموسيقى، ويعترف بأن هذا هو الذى حال بينه وبين محاولة القيام بدور الخليل بن أحمد فى ضبط أنماط الموشحات الموسيقية فيقول : "وكنت أردت أن أقيم لها عروضاً يكون دفتراً لحسابها، وميزانا لأوتادها وأسبابها، فعز ذلك وأعوز لخروجها عن الحصر، فما لها عروض إلا التلحين، ولا ضرب إلا الضرب.. فبهذا يعرف الموزون من المكسور، وأكثره مبنى على تأليف الأرغن، والغناء بها على غير الأرغن مستعار، وعلى سواه مجاز".

ولعل هذا ما يعطى للوشاح الموسيقار ميزة على غيره، ويجعلنا ندرك سر النادرة التى تروى عن ابن باجة، صاحب التلاحين المشهورة – كما يقول ابن سعيد – عندما ألقى على إحدى قينات ابن تيفلويت موشحة فيها :-

جرر الذيل أيما جر * وصل السكر منك

فطرب الممدوح، ولما اختتمها بقوله، وطرق سمعه فى التلحين :-

عقد الله راية النصر * لأمير العلا أبى بكر

صاح واطرباه، وشق ثيابه، وقال : ما أحسن ما بدأت به وما ختمت، وحلف بالأيمان المغلظة أن لا يمشى فى طريق إلى داره إلا على الذهب، فخاف الحكيم ابن باجة سوء العاقبة، فاحتال بأن جعل ذهباً فى نعله ومشى عليه" (٧).

وأحسب أن التلحين لم يجبر فى حالة هذه الموشحة كسرها العروضى، بل جبر كسرها الدلالى، وجعلها ترقى من مجرد كلمات عادية مما جرت به عادة المدائح إلى أن تصبح مما تشق عليه "مصوغات الجيوب" فينثال منها الذهب النضار.

٣- تداخل المستويات اللغوية :

يدور عمود الشعر فى النقد العربى القديم على نظرية النقاء اللغوى، مما يتطلب قدراً عالياً من بكارة اللغة، وجزالة اللفظ، وشرف المعنى، والتئام النسيج، بحيث تنتمى القصيدة إلى مستوى لغوى رفيع وفريد، دون خلط أو تفاوت. وكلما أمعنت فى صبغتها البدوية الأصيلة اقتربت من المثالية المنشودة لدى النقاد